

الربانية.. زادنا وسبيلنا



رسالة من محمد مهدي عاكفـ المرشد العام للإخوان المسلمين

الحمد لله رب العالمين؛ رب كل شيء وهداه، والصلوة والسلام على سيد الدعاة وإمام الأنبياء وسيد المرسلين؛ سيدنا محمد بن عبد الله.. وبعد..

في ظل ما يواجه الإسلام من تحديات في شتى المجالات وعلى جميع المستويات، وما يعتري العالم من تحولات كبرى ستؤثرـ بلا شكـ على الدعوة والدعاة؛ يظهر سؤال منطقي: ما الحل وما الملجأ لنحافظ على ثوابتنا ونحقق مستهدفاتنا بدون وقوع تأثير سلبي على الدعوة أو الداعية؟

في الحقيقة أنه عندما تشتد الخطوب تتجلى في الأفق طاقة من نور الإسلام، تدعو وتذكر الناس بأنه **﴿لَا مُلْجَأٌ مِّنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾** (التوبة: من الآية 118)، ولا نجاة إلا باتباع هداه **﴿فَمَنْ أَتَيَنَا هُدًىٰ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾** (طه: من الآية 123)، وإننا لنجد في هذه الأحداث والتحديات فرصة عظيمة للتحلي بالربانية، بكل معانيها ووسائلها وصورها.. خلقاً وسلوكاً ووافعاً ملماساً.

لقد كان الإمام الشهيد حسن البنا رحمة الله في غاية الوضوح؛ عندما بين حقيقة دعوة الإخوان المسلمين وسمو هدفها وغايتها ووسائلها، وأنها دعوة ربانية، وهذا ما نريد أن نؤكده ونرسّخه في نفوسنا؛ بحيث لا تنسينا الدنيا - بهمومها وأوهامها - حقيقة دعوتنا وطبيعة رسالتنا: أخص خصائص دعوتنا أنها ربانية عالمية: أما أنها ربانية فلأن الأساس الذي تدور عليه أهدافنا جمياً أن يتعرف الناس إلى ربهم، وأن يستمدوا من فيض هذه الصلة روحانية كريمة تسمو بأنفسهم عن جمود المادة الصماء وجوهها إلى ظهر الإنسانية الفاضلة وجمالها نحن الإخوان المسلمين لنهتف من كل قلوبنا: "الله عايتنا"؛ فأول أهداف هذه الدعوة أن يتذكر الناس من جديد هذه الصلة التي تربطهم بالله تبارك وتعالى والتي نسوها فأنساهم الله أنفسهم **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقْتُمْ وَآلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** (البقرة: 21)، وهذا في الحقيقة هو المفتاح الأول لمغاليق المشكلات الإنسانية التي أوصدها الجمود والمادية في وجوه البشر جمياً، فلم يستطعوا إلى حلها سبيلاً، وبغير هذا المفتاح فلا إصلاح" (رسالة دعوتنا في طور جديد).

من هنا كان عليكم أيها الإخوان المسلمين - وأنتم طليعة هذه الأمة وحاملو لواء دعوتها - التحلي بالربانية والخلق بها، وتحقيقها في أنفسكم؛ لتحققوا صفات العبد الرباني، الذي يتعلم أمر الله ونهيه، ويعرف شرع الله ووحيه، فيطبقه في ذات نفسه، ويدعو غيره إليه، ويقوم بعملية الإصلاح في حياة الناس؛ لما فيه خير الناس في عاجلهم وأجلهم، وهكذا يجب أن يكون الفرد من الإخوان المسلمين.. **﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِينَ﴾** (آل عمران: من الآية 79).

إذا أردنا أن نصل إلى الربانية التي نطمح إليها فلنتحققها في ذاتنا أولاً؛ مستشعرين قول الله تعالى: **﴿فَلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايِ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** (الأنعام: 162)، وقوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الدَّيْنِ أَنَّقُوا وَالَّدَيْنَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾** (النحل: 128)، وفي بيوتنا.. **﴿وَاجْعِلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** (يوحنا: من الآية 87)، وفي مجتمعنا بتحقيق الخلق الفاضل الذي ينهض بالأمة إلى الخيرية التي رسماها لها ربها **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾** (آل عمران: من الآية 110).

فالربانية هي الانتساب للرب، وهذا الانتساب لا يتحقق إلا بأن نكون لله رب العالمين في كل أحوالنا، فالربانية لا تتأتى مكتملة إلا بهذا؛ بعبادة الله عز وجل بالمفهوم الشامل للعبادة، وهو جعل الحياة والممات والحرّكات والسكنات له سبحانه؛ فلا ننطق إلا بما يرضي الله، ولا نعمل إلا ما يرضاه الله، ولا تتوجه نياتنا في تلك الأقوال والأفعال إلا لله.

الربانية أولاً

أيها الإخوان المسلمين

ينبغي أن تكون الربانية في قمة أولوياتكم، وأن تعملوا جاهدين على تحقيقها بكل ما أوتيتم من قوة وجهد، فحققوا صفات أولياء الله بكلكم بكلمته ويشملكم بحفظه **﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾** (يوسف: من الآية 64) ولا يجعل للشيطان عليكم سبيلاً **﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾** (الإسراء: من الآية 65) هذا ما نريده وما نسعى إليه، وهو واجب كل فرد على حدته في إطار مسؤوليته الفردية ليبدل أقصى جهده في تحقيق موجبات الربانية والعبودية.

واجبات

أيها الإخوان المسلمين

عليكم بإحياء الإيمان داخل نفوسكم.. بالإيمان هو المؤدي لكل ما ينشده الفرد في الدنيا والآخرة، ووسائل تجديد الإيمان وتمكينه في النفس كثيرةً ومتعددة، وأهمها إحسان الصلة بالله، بإقامة الفرائض، والإكثار من الطاعات والأعمال الصالحة، فأقبلوا على الله إقبالاً صادقاً كما جاء في الأثر: "إذا أقبل عليَّ عبدي بقلبه وقاله أقبلت عليه بقلوب عبادي مودةً ورحمةً.

وأجعلوا الله عَزَّ وجلَّ الغاية الأسمى والهدف الأعلى لكم، واجعلوه حاضراً في قلوبكم وأمامكم في كل أعمالكم، وأخلصوا التوجه له، وأدركوا حقيقة ما خلقكم الله من أجله.. ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا يَعْبُدُونَ﴾ (الذاريات)، وحققوا في أنفسكم معنى شعارنا الدائم "الله عايتنا"، وحولوه إلى واقع ملموس.

وعليكم التطلع الدائم إلى الدرجات العلا، وأن تجعلوا هدفكما في الحياة هو ارضاء الله عَزَّ وجلَّ، والعمل من أجل الفوز بالفردوس الأعلى، وأن تعملوا جاهدين على تحقيق هذه الأهداف السامية لتنالوا رضا الله، واغتنموا كلَّ دقيقة وكلَّ لحظة وكلَّ خلجة قلب، واجعلوها زيادةً في رصيدكم الإيماني ﴿لِلْفَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَتَصَرَّفُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحشر).

وحققوا الأخوة بينكم وطبقوها عملياً، بدءاً من سلامة الصدر وحتى الإيثار ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةً وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر)، فنحن نريد الأخوة الحقيقة التي تعين على الطاعة والقرب من الله، وتثري العمل وتدفعه للأمام.

إن الربانية هي مُدد الحياة الإيمانية، فحافظوا على صلة الجماعة والصف الأول، وخاصةً الفجر، واقرءوا القرآن، واستمعوا إليه، وتذربُون، وقوموا بمعانيه، واعلموا أنه لا سير إلى الله بدون قيام الليل فإنه شرف المؤمن وزاده الحقيقي على تحمل تبعات الدعوة ومشقاتها فهو وقود الدعوة، واجتهدوا في الدعاء وقت السحر واغتنام هذه الأوقات الفاضلة، واعلموا أن قيام الليل هو أفضل معين على تحمل أعباء النهار ﴿إِنَّ نَاسَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْنًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ (المزمول)، وشغلوا أوقاتكم بالذكر والتفكير والصيام ونواقل الخير والطاعات، واعملوا جاهدين على التخلص من كل جواذب الأرض التي تعطلكم عن أداء رسالتكم، وصلوا أرحامكم، وكونوا بارين بأهليكم وذويكم، وأطعوا الله فيهم، وأعطوا من أنفسكم القدوة الصالحة لدعوتكم ولدينكم، وكونوا لهم بمثابة الواحة التي بها يأنسون.

أيها الإخوان المسلمين.. أيها الناس أجمعون

إن الربانية هي إصلاحٌ للنفس والمجتمع، فالربانيون استحفظوا كتاب الله، فهم المسئولون أمام الله عن حفظ الشريعة وعن نقلها وتعليمها لعباد الله ﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاء﴾ (المائدة: من الآية 44)، فالرباني يشعر أن الله سيسأله عن الشريعة كلها، وعن هذه البشرية جماء، لأنه طلب منه أن يحفظ وحية، وحفظ الوحي لا يكون بمجرد حفظه في الأذهان والقلوب، لكن الحفظ الحقيقي يكون بحمله رسالةً وحفظه أمانةً والعمل بما فيه، ومن هنا كان علينا جميعاً التحلي بالربانية للنجاة بأنفسنا ونصرة ديننا وعدة مجد أمتنا التليد.



وعلينا الحذر من التصورات الخاطئة والهداة، التي تتسلل إلى نفوس البعض؛ بأن كثرة المشاغل والأعباء الدعوية والدينوية تتعارض مع الربانية والروحية وتوثر فيهما سلباً، والعكس هو الصحيح تماماً؛ فهذه الأعمال تزكي الروح وترفع الجانب الإيماني وتعين على حسن العبادة لله وإنجاز ما يوكل إلينا من أعمال ونحقق ما نستهدف من خطط وبرامج.

وعلينا أن ندرك أنه لن يتحقق أو ينجز أي هدف أو خطة أو عمل بدون إخلاص التوجه لله وجعل العمل كله له سبحانه.

إن أولى خطوات نجاة العالم كله مما يداهمه؛ تكمن في عودتنا للربانية الجادة والحقيقة، والعمل الجاد لنصرة الإسلام ورفعه شأنه، ومن هنا وجب على كل الغيورين والمخلصين للإسلام العجلة والفرار إلى الله ﴿فَرُّوِّا إِلَيَّ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الذاريات)، ول يكن شعارنا ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (طه: من الآية 84) وـ"لن يسبقني إلى الله أحد"، والله أكبر والله الحمد.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.